الارهاب هو ايذاء الافراد والممتلكات وينطبق على الجماعات وعلى الدول:

من المطالب بتزكية نفسه المقاومة ام الاحتلال واعوانه؟

جمال محمد تقي*

■ قبل الشروع في الاجابة على السؤال الاول، اود ان اعاين السؤال جيدا، هل طرحه بهذه الصيغة يحمل صحة ودقة، جدل المعرفة، ام دجلها؟ لان طرح سؤال معرفي صحيح، يشكل نصف الطريق نحو الاجابة المعرفية الصحيحة، هكذا تعلمنا، في الف باء منطق البحث المعرفي.

نعم السؤال صحيح، لانه حدد المكان والزمان، وحدد جهة البحث وحدد الصفات، ولكن هناك مشكلة، قد تبدو غير جدية، ولكنها كذلك، الا وهي موضوعة الصفات، وتطابقها على الموصوف بها، بل تطابق الصفة مع نفسها، اي ان هناك اختلافا في المفاهيم غير الجزمية، لان بعض الصفات، هي مستحدثة ومشتقة من اسماء لافعال لم يجزم بتعريفها او بدرجات تطابقها مع الحاصل في الحقيقة الواقعة فعلا، وان هناك قصدية عند المروجين لجعلها ملتبسة ومطاطة، تارة بتجريدها من سياقها التاريخي وتارة بتمييز بعض جوانبها على حساب جوانب اخرى وتارة بتغييب معناها القاموسي لصالح معنى ملفق، وكل هذا اجتزاء ارادوي لمعاني الصفة، واسقاطاتها الملموسة، وضمن سياق، لا يمكن فصله عن حالة الصفة ذاتها.

عليه ساضطر الى طرح تعريف للصفة التي يريدها السؤال بمقياس زمان ومكان جهته.

ما هو الارهاب: ببساطة هو اي ايذاء للابرياء اوالممتلكات بقصد الترويع للحصول على مكاسب مادية او معنوية، وهذا ينطبق على الافراد والجماعات والدول.

الان من هم الارهابيون في العراق؟ نعم انهم اولا اهل الجريمة الكبرى والفتنة الكبرى ومؤسسوها، انهم جحافل الاحتلال الذين دخلوا العراق دون وجه حق وعاثوا وما يزالون في الارض فسادا، ولا اريد ان اكرر واعدد جرائمهم التي لا استطيع حصرها، حتى لا اقع في الابتذال، فافعالهم باتت مكشوفة ومعروفة لدرجة فاقعة حتى للاعين غير المبصرة، فقط انوه الى ان هناك كتائب خاصة امريكية، وعراقية امريكية، واخرى من المرتزقة، جميعا تقوم بمهام خاصة، عدد منها فقط هي فرق الموت التي افتتح باكورة نشاطاتها، السفير نغروبونتي. ثانيا الميليشيات كل الميليشيات دون استثناء، المرخص منها وغير المرخص، السرية والعلنية، كل منها يرهب على طريقته، هذا على الطريقة الجحشية وذاك على طريقة ولاية الفقيه وهذا على طريقة تقليد فرق الموت، وبشكل واضح فان اكثر الاساءات الارهابية تتأتى من ميليشيات البيشمركة، وبدر، وبعض الجماعات المتطرفة ممن يدعون انتسابهم الى جيش المهدي، وجماعة غلاة السلفية.

ملاحظة: كانت هناك مجاميع مسلحة وذات تواجد منظم في المناطق الحدودية من محافظة السليمانية «انصار الاسلام» قد تمت تصفيتها، وجماعات اخرى من المتطوعين العرب ينتظمون في اطراف بغداد وبعض مناطق الرمادي وصلاح الدين قد تم ايضا قصم ظهورهم بين نهاية العام الاول للاحتلال ومطلع الثاني، وعاد الكثير منهم الى بلاده الاصلية، ولم يتبق منهم سوى مجاميع صغيرة غير فاعلة وليس لها تاثير حقيقي على خارطة الفوضى الضاربة اطنابها في العراق، بفعل الاحتلال وسياساته الاجرامية، ويمكن حساب جماعة الزرقاوي عليهم رغم الشكوك حول وجوده اصلا، علما ان تضخيم دوره كان امرا مقصودا لغرض خلط الاوراق والتغطية على مكانة المقاومة العراقية المتصاعدة.

ثالثا: اجهزة الامن والاستخبارات والجيش الطائفي الذي شكله الاحتلال، كل هؤلاء عندما يؤتمرون من قبل قوات الاحتلال لممارسة فعل عنيف ضد مجاميع تقاتل الاحتلال فهم في هذه الحالة ارهابيون مأجورون، وما ينطبق على قوات الاحتلال ينطبق عليهم، اما شرطة المرور والشرطة الجنائية اي الشرطة العادية التي تتخصص بمنازعات الناس الخاصة، فهم بمنأى عن اي مكروه لأنهم لا يقومون بمكروه ضد من يقاتل الاحتلال.

اذا كنت لا تقاوم فانت حر ولكن اذا ساعدت المحتلين على من يقاوم فسيكون حسابك حسابهم،

وهذه سنة من يريد الدفاع عن نفسه بطرد الأذى ومسببيه ومعاونيه من طريقه وطريق تحرير بلاده.

كل من قرأ تجارب حركات المقاومة لدى معظم شعوب العالم فانه سيلاحظ تشابها شديدا في مثل هذه الحالات، ولا تشذ المقاومة العراقية عن غيرها في ممارستها لهذه السجايا، اثناء تعاملها مع المحتلين كاعداء حتى التحرير، واثناء تعاملها مع من يتعاون مع المحتلين من العراقيين كخونة، يمكن قبول توبتهم اذا غيروا اتجاههم، واصبحوا محايدين على اقل تقدير، او التعامل الايجابي مع العراقيين الذين لا يقاومون ولا يعيقون المقاومة.

وخلاصة القول ان الارهاب في العراق هو صنيعة الاحتلال ومطاياه، وليس صنيعة سورية او ايرانية او افغانية او سعودية، فعملية الاحتلال بحد ذاتها، هي عملية ارهاب دولة منظم ومن الطراز الكافر بكل القيم الانسانية وغير الانسانية، اما وقد احتلت البلاد فان هناك من يعيق المحتلين عن تطبيق برنامجهم في جعلها محطية من محظياتهم ويبغون طرده دون قيد او شرط وهناك من يسود عيشتهم ويكفرهم بالساعة التي دخلوا بها العراق، انها المقاومة وبكل اشكالها التي نجحت في الاستمرار والاتساع وفي النيل من معنويات المحتلين واعوانهم، والتي جعلت الاحتلال يعدل بالكثير من تفاصيل موديله الجاهز الذي جاء به ليفرضه فرضا على العراق وشعبه، ان مقاومة مثل مقاومتنا سوف لن تكل وتمل حتى يقر الاحتلال بجريمته ويقول «حقي برقبتي».

ان من قتل اكثر من 150 الفا من المدنيين لحد الان هو الاحتلال، ومن يهين العراقيين في كل لحظة من لحظات وجوده هو الاحتلال، ومن دفع بالبلاد للتقاسم الاثني والطائفي هو الاحتلال، ومن فجر النجف وسامراء والفلوجة والرمادي وتلعفر والموصل والكوت والعمارة هو الاحتلال، ومن فعل الفعل البربري وما زال يفعل بالسجناء والاسرى والمحتجزين هو الاحتلال، من دمر الدولة العراقية، وحل جيشها هو الاحتلال، من سرق العراق هو الاحتلال ومن لوث ارض وسماء ومياه العراق بالمواد المشعة والمحرمة الاستخدام هو الاحتلال، فكيف ياتي من ياتي ليقول ان هناك ارهابا اخر هو الاخطر!؟ وهل بقي هناك شيء اخطر من الذي فعله ويفعله الارهاب الامريكي، ارهاب بكل الالوان «اسكوب ملون»؟.

اما عن السؤال الثاني: من المطالب بتزكية نفسه المقاومة ام الاحتلال واعوانه؟

السؤال يحمل تناقضا لدرجة المفارقة، فتزكية النفس يجب ان تكون امام جهة ذات علاقة بها وهي مخولة للبت في الحكم عليها لانها هي وحدها صاحبة الشأن، واذا كان المقصود الضمني لها هو الشعب، فكيف يطلب من المحتل تزكية نفسه امامه، وهو الذي يخضع هذا الشعب نفسه للاحتلال؟ وكذا الحال بالنسبة لاعوانه فهم يعرفون ان الشعب لا يحترم فيهم اي قيمة، واذا زال الاحتلال زالوا فكيف سيطلبون منه تزكيتهم؟ طبعا اذا منح كامل الحرية لفعل ذلك!

اما المقاومة فهي ليست بحاجة للتزكية من احد لانها لا تدعي شيئا تحاجج عليه انها تفعل ولا تدعي الفعل، ونتائج افعالها نعرفها بالفطنة من تصرفات، واعلانات العدو نفسه، وخسائره الحقيقية، وما تجود به المقاومة بنفسها عن نفسها وافعالها، والشعب يعايشها بالميدان فهي منه وله، وهو الذي يمدها بما تحتاج والا كيف لها ان تصمد بوجه اقوى قوة في العالم؟

ولولا صيغة السؤال التهكمية لقلنا انه سؤال خطأ.

يتبادر الى ذهني وانا اجيب على بعض اسئلة الاخوة الذين راسلوني متسائلين عن جوانب جوهرية في موضوعة المقاومة العراقية، «المقاومة الرقم الاصعب في المعادلة العراقية».

سؤال عرضي، من هم الملثمون والشبحيون حقا؟ هل هم ابناء المقاومة ام رجالات الامن والاستخبارات وما يسمى بالجيش الوطني وعناصر الميليشيات وفرق الموت الذين يشاركون في ابادة الشعب العراقي وقواه الرافضة، لعراق فوضوي، مقطع، محتل؟

الاجابة متروكة للمتسائلين انفسهم، فقط نرشدهم الى مصادر تساعدهم في معرفة الاجابة، اغلب المحطات الفضائية التي تنقل صور حية للملثمين من القوات المساندة للاحتلال بمختلف اصنافها اثناء حصول مداهمات او اعتقالات او مفارز تعقب او تحقيق بالهويات، او مقاتلة المقاومين! ان هؤلاء هم النكرات المطالبين بالكشف عن انفسهم وعن حقيقة افعالهم، وعن عقائدهم القتالية، وعن طريقة استخدامهم، اليس كذلك؟

وهناك دليل اخر على اكاذيب حكومات الاحتلال وتحديدا في مجال الامن وانتهاكات حقوق الشعب بكل الوانها واشكالها، وهي عدم الاعلان عن اي نتائج لاي لجنة تحقيق شكلتها دجلا للبحث في الجرائم المروعة التي شهدها العراق! ما هي نتائج تحقيق تفجيرات سامراء؟ ما هي نتائج تحقيقات مذبحة جسر الائمة؟ ما هي نتائج تحقيقات تعذيب وقتل المعتقلين بوزارة الداخلية؟ هل هناك ابلغ من ذلك على تورط اجهزة الحكومة الملثمة بكل الجرائم البشعة التي يشهدها العراق؟

من يعرف العراق جيدا يعرف كيف انطلقت ثورة العشرين، ويعرف حتما ان اعمال المقاومة للاحتلال الانكليزي انفجرت بالرميثة وخان ضاري وغيرها من مناطق العراق، بعد شعور الاهالي بالاهانة نتيجة الاعتداء على حرمة شيوخهم وقادتهم، فانتفضوا وفعلوا ما فعلوا.

والشيء لم يختلف كثيرا الان عندما يشعر الاهالي انهم جميعا مهانون كبيرهم قبل صغيرهم، فماذا تنتظر من اناس تستطيع ان تسلبهم كل شيء الا احساسهم بالكرامة، وهذا ما حصل فعلا وبتفاصيل معروفة بالفلوجة والرمادي وسامراء، والعمارة والنجف، وام قصر، اقتل العراقي ولا تهينه، سينقلب عليك ثائرا اذا اشعرته بدونية موقفه! بالله عليكم الم يكن الاحتلال وافعاله التي «ما ينلبس عليها ثوب» امتازت بدوس بساطيل جنوده على رؤوس شيوخ ونساء العراق بل وحتى على رؤوس بعض المغفلين من المتعاطين معه «محسن عبد الحميد» زعيم الحزب الاسلامي سابقا، والذي ترك زعامة الحزب بعد اول بسطال داس على رأسه!؟

ناهيك عن الموقف الشعبي المعروف بحنقه على الامريكان وحصارهم الجائر على العراق ومن ثم تدميرهم بالحديد والنار، وبكل اسلحة الدمار، بنية بلادهم التحتية، ومن ثم لاشرعية حربهم اصلا واحتلالهم، فالشعب يدرك بفطرته اي جحيم تسوقه اليه، سياسة ابو ناجي، وسياسة رعاة الهوش، الذين لا يهمهم من كل هذه اللعبة سوى الهيمنة على النفط في العالم كله وليس في العراق وحده، ان لعابهم يسيل «كرهاويل المجانين» على رائحة الذهب الاسود، الذي تحول وجوده الى نقمة على العراق واهله.

والان لا اعتقد ان مقاومة شعب العراق لمحتليه هي بدعة تستدعي التفسير والتبرير، ولا جرائم الاحتلال وعملائه ومحاولاته لتشويه افعال المقاومة بالافتراء عليها، بل في عمل تشكيلات موازية لها وتأتمر بإمرة المحتلين انفسهم للنيل منها ومن شعبيتها بالدس والوقيعة.

هو ليس بامر جديد او غريب، فتجارب فيتنام والجزائر وامريكا اللاتينية، تعلمنا ان المحتلين مهما اختلفت عناوينهم سيلجأون الى ذات الاساليب في محاولاتهم للقضاء على مقاومة الشعوب المحتلة، وليس ما نقوله بدعة اخرى، من ان مقاومة الشعوب لمحتليها ومستعبديها ستنتصر مهما طال الزمن.

* كاتب من العراق

اسقاط حكومة «حماس» يفتح ساحة جديدة للقاعدة

نور الدين العويديدي*

تسعى الادارة الامريكية ومعها حكومات اوروبية واخرى عربية لاسقاط الحكومة الفلسطينية، التي تقودها حركة المقاومة الاسلامية «حماس». ويتخذ هذا السعي اشكالا شتى من الضغوط والحصار ومنع وصول الاموال الى الحكومة الفلسطينية، فضلا عن تشجيع قوى فلسطينية داخلية لتعويق عمل الحكومة، وافتعال اشتباكات مسلحة، لاثبات فشل «حماس» في تحقيق اي من وعودها في الاصلاح والتغيير وضبط الانفلات الامني وتوفير الحد الادنى من الخدمات للشعب الفلسطيني.

الحصار محكم.. اموال ممنوع دخولها الى الاراضي المحتلة بعد تحصيلها من متبرعين حكوميين او من اصحاب الخير من رجال الاعمال ومن عامة الناس.. مسؤولون في الحكومة او اعضاء في البرلمان الفلسطيني ممنوعون من الحصول على تاشيرات دخول لاوروبا للتواصل مع برلمانيين ووسائل الاعلام، لتقديم وجهة النظر الفلسطينية للعالم، ودول عربية ترفض اعطاء تاشيرات لمسؤولين فلسطينيين، واخرى تتهم «حماس» بتهريب اسلحة والتخطيط لشن اعمال ارهابية على اراضيها، من اجل احكام الحصار عليها ومزيد تبرير خنقها..

ثم ماذا بعد؟ لا يعرف احد ماذا بعد، ولا الى اي حد يمكن للشعب الفلسطيني ان يصمد ويصبر على الحصار المفروض عليه وعلى حكومته، ولا ماذا سيحصل في العلاقة بين «حماس» و«فتح» خلال الاسابيع القادمة، ولا كيف ستتطور الامور عموما في الساحة الفلسطينية.. ما هو معروف حتى الآن ان وجود حركة «حماس» والجهاد الاسلامي قد اقفل ابواب الساحة الفلسطينية على الاسلام «الجهادي» ممثلا في تنظيم القاعدة ومن على شاكلته من التنظيمات الاسلامية، التي ترفض الاقرار بالديمقراطية، والاختيار الشعبي الحر، وتكفر الحكومات العربية، وتنظر للعالم الغربي من منظار الحرب، وتجيش شباب العرب والمسلمين للانخراط في جبهة عالمية ضد الكفرة من الصليبيين والصهاينة.

لقد تعرضت حركة «حماس» لتقريع عنيف من قبل الرجل الثاني في تنظيم القاعدة ايمن الظواهري، بسبب اشتراكها في الانتخابات الفلسطينية، وظل خطاب الحركة المعتدل سببا لتعرضها لهجمات الاسلاميين «المتطرفين» العديدة. لكن الحركة بسبب اعتدالها، وتحريمها لاراقة الدم الفلسطيني، وبسبب نظافة ايدي قياداتها وجهادها المعروف، نجحت في تقديم نموذج مغر ومغن في نفس الوقت للشباب الفلسطيني وللكثير من الشباب العربي والمسلم عن التوجه نحو الخطاب التكفيري..

ملأت «حماس» جانبا هاما من ساحة الاستقطاب داخل الدائرة الاسلامية في فلسطين وما حولها، ومثلت نموذجا يجمع بين المقاومة الشريفة والفكر المعتدل والقبول بالخيار الديمقراطي والاعتراف بالآخر. وانعش نجاحها في الانتخابات التشريعية الفلسطينية الكثير من الآمال في فلسطين وفي الدول العربية والاسلامية في الوصول الى الاصلاح والتغيير والعزة الوطنية والقومية والاسلامية من باب صناديق الاقتراع، لا من باب المنازلة العسكرية واعمال التفجير في العواصم العربية والاسلامية وتكفير المخالفين.

لكن هذه الآمال العريضة قد تتبخر مع الوقت، اذ يمثل اسقاط الحكومة الفلسطينية او افشالها عمدا فتحا للباب على مصراعيه امام خطاب القاعدة وتنظيمها في فلسطين وفي ما حولها. لقد جرى ويجري نقاش حاد داخل الدائرة الاسلامية بين انصار التيار الوسطي المعتدل والتيار الجهادي، حول السبل الافضل لتغيير الاوضاع العربية والاسلامية وتحقيق طموحات الناس في الاستقلال والعزة والتقدم. ونجحت «حماس» حتى الآن في تقديم اجابة مركبة ومقنعة جدا للفلسطينيين وللعرب والمسلمين، تقرن بين المقاومة والعمل العسكري من جهة، وتنفتح على آفاق الحراك الديمقراطي السلمي من جهة ثانية، ولذلك اختيرت الحركة بشكل واسع في الانتخابات البرلمانية الفلسطينية. وفشلها سيعني فشلا ذريعا لهذا الخيار الذي مثلته الحركة ودافعت عنه، حتى غدا مقنعا لتيار عريض في الشارع الفلسطيني.

بعيدا عن التبسيط الساذج في النظر للامور الذي يقود قوى دولية وعربية للضغط على الحكومة الفلسطينية بهدف اسقاطها، لاحداث انتكاسة جديدة في الشارع العربي، فانه طالما استمرت المظالم مسلطة على الشعب الفلسطيني والعراقي وعلى الشعوب العربية من حولهما، فان سقوط حكومة «حماس» لن يؤدي في الظروف الحالية الى مجرد انتكاسة في الشارع العربي والمسلم.. انه سيؤدي بالعكس من ذلك الى تغيير المزاج الشعبي في اتجاه المراهنة على الخيار الجهادي على طريقة القاعدة.

دخول القاعدة للساحة الفلسطينية وتحقيقها نجاحات فيها سيعنيان مزيدا من انتشار فكرها في مختلف الساحات العربية والاسلامية. ان ذلك سيحرر القاعدة من اتهام ظل يلاحقها باستمرار بانها ذهبت للجهاد في بلاد بعيدة، وتركت الساحة الفلسطينية. وحضور التنظيم في ساحة القضية المركزية عربيا واسلاميا، وتحقيقه «انجازات» فيها، قد يعني مزيدا من انتشاره عربيا واسلاميا ودوليا، مقابل انحسار الفكر الاسلامي المعتدل.

التاريخ لا يعود الى الوراء.. لن يكون بوسع «فتح» استعادة سيطرتها المطلقة على الساحة الفلسطينية كما كان سابقا. واسقاط حكومة «حماس» سيعني خلق الكثير من الفوضى في المنطقة، مثلما سيعني اعطاء هدية ثمينة للقاعدة تبحث عنها بفارغ الصبر.. اوليست الفوضى «الخلاقة» في العراق المحتل هي التي خلقت البيئة المناسبة لتنمو القاعدة وتترعرع، وذلك ما سيحصل اذا توفرت شروطه في الساحة الفلسطينية باسقاط الحكومة الفلسطينية المنتخبة. وعلى من يسعى في تحقيق هذا الهدف ان يتوقع نتيجة فعله مسبقا.

* رئيس تحرير مجلة «اقلام اون لاين»

هل ادار بوتفليقة ظهره لفرنسا؟

مدين غالم*

■ العلاقات الفرنسية بمستعمرتها السابقة الجزائر ليست على ما يرام وتمر في هذه الفترة باحتقان فاق التوقعات فالمؤشرات الواحد تلو الاخر تدل على سريان هذا الاحتقان الى درجة الجمود والوصول الى التراشق الكلامي اذ اصبح كل تصريح يقابله تصريح مضاد من احد الطرفين.

وزيارة فليب دوست بلازي، وزير خارجية فرنسا مؤخرا للجزائر والتي جاءت بأمر من الرئيس شيراك وشهدت العديد من التأجيل في البرمجة من قبل الجزائر حسب العديد من الاوساط المتتبعة للشأن الفرنسي ـ الجزائري وهذه الاخيرة لم تكن متحمسة لهذه الزيارة التي كان الجانب الفرنسي يلح عليها ويأمل منها اذابة الجليد الذي تكلس على خط المرادية ـ الاليزي. ولم تفلح في رأب الصدع الذي حدث في العلاقات نتيجة افرازات مواقف وعوامل سنأتي على ذكرها.

لقد ترافق هذا الشرخ مع تقارب امريكي جزائري بوتيرة سريعة هذا التقارب استشعرت منه خلاله فرنسا فلتان الجزائر من اجندتها وهي التي كانت تعول على الجزائر امام الاستقطاب الامريكي لمنطقة كانت الى وقت قريب حكرا على فرنسا امام هذا المال الذي استشعرت منه فرنسا بان مصالحها في الجزائر قد تتعرض الى الاضمحلال.

ارسلت باريس العديد من الرسائل المشفرة نحو الجزائر ومن بينها زيارة وزير الخارجية بغية احتواء الموقف وتلطيف الاجواء من جديد بعد الصدمة التي احدثها اليمين الفرنسي الممجد للاستعمار والذي فجر هذا الخلاف. لذا جاءت زيارة فليب دوست بلازي في هذا السياق لازالة التوتر الذي لم تكن باريس تحسب له حسابا وبلوغ هذه الدرجة من التشنج اذ بالرجوع الى النتائج المتمخضة عن هذه الزيارة وتمحيص نقاطها المتقاطعة والمدة التي استغرقتها المقابلة التي خصه بها الرئيس بوتفليقة اذ كان مقررا لها ساعة واحدة الا انها فاقت الساعتين والنصف من الزمن هذه واحدة من النقاط التي تنبىء بالاحتقان الذي يشوب العلاقات وكذا وابل الانتقادات التي وجهها بوتفليقة لضيفه حول مواقف فرنسا حيال بعض القضايا التي تهم الجزائر مثل الصعوبات التي يعاني منها الجزائريون طالبو تأشيرة الدخول الى فرنسا وكذا موقف هذه الاخيرة من قضية الصحراء الغربية اذ تعيب الجزائر عليها انحيازها الى الجانب المغربي. اذا الخلافات أضحت تطفو على سطح هذه العلاقات.

لقد عكس المؤتمر الصحافي لوزيري خارجية البلدين في نهاية الزيارة صفة التشاؤم بخصوص واقع العلاقات الثنائية وكذا عدم التوافق في العديد من المسائل التي كانت مثار الحوار والوصول الى المجادلة بين الوزيرين في بعض القضايا ووصف الزيارة بغير الناجحة من قبل الصحف الجزائرية «بلازي عاد فارغ اليدين» كما عنونت احدى الجرائد. وكأني بها تعيد نفس التعبير الذي ختم به بوتفليقة زيارته الاولى لفرنسا في حزيران (يونيو) 2000 حين قال في تصريح صحافي، اني عائد فارغ اليدين، فهل هذه مصادفة ام رد الصاع؟

الوضع هذا ليس بالجديد على مستوى العلاقات فلقد مرت هذه الاخيرة بمد وجزر في عشرية القرن الماضي وجفاء بلغت ذروته القطيعة ورفض اخذ الصور مع الرئيس اليمين زروال على هامش قمة الامم المتحدة في نيويورك في 1995 وكذا ترك سفير الجزائر في تلك الفترة السيد سيد احمد غزالي (رئيس حكومة سابق) مدة 6 اشهر ينتظر موعد تقديم اوراق اعتماده لدى الجمهورية الفرنسية عندما كانت الجزائر واقعة تحت وطأة حصار مفروض غير معلن تبعات الحرب الاهلية في العشرية الماضية وهي سابقة لم تعرفها العلاقات من قبل ترك سفير 6 اشهر في الانتظار اذ كانت تعتقد بان النظام سينهار بعد الانقلاب العسكري لسنة 1992 وتصاعد اعمال العنف.

اعاد الدفء الى العلاقات الرئيس بوتفليقة بعد استلامه سدة الحكم سنة 1999، لكن عاد مؤشر التصادم من جديد بعد قانون 23 شباط (فبراير) 2005 خاصة المادة الرابعة منه التي تمجد حقبة الاستعمار وبخاصة في شمال افريقيا وبالتحديد الجزائر لانها كانت تعتبر مقاطعة فرنسية الى غاية 1962، هذا الموقف اثار حفيظة السلطات الجزائرية وسخطها وكان القطرة التي افاضت الخلاف اذ وصف الرئيس بوتفليقة هذا القانون بالوقاحة وزاد في التهجم حين قال «فرنسا ارتكبت اعمال ابادة جماعية خلال احتلالها الجزائر» وتم حذف هذه المادة بعد تدخل الرئيس شيراك شخصيا بعد ان احدثت الجدل الحاصل او لنقل الشرارة التي اشعلت الفتيل في مسار العلاقات، والغاء هذه المادة لم يدفع الجزائر للتراجع عن الموقف المتصلب واصبحت تتطلع الى ما هو اكثر من مجرد الغاء مادة بل افتكاك اعتذار فرنسي عن احتلالها وجرائمها في الجزائر اثناء فترة الاحتلال.

وبالتالي الحصول على المزايا التي يخولها اقرار هذا الاعتذار، وهذا ما تحاول الجزائر وبالاحرى بوتفليقة الحصول عليه وهذه امنيته وتشبثه بهذا المطلب مستغلا الموقف الذي هو في صالحه بالنظر الى العديد من المعطيات اذ ليس هناك احسن من استثمار هذه الفترة التي تشعر فيها فرنسا بضيق بان نفوذها في المنطقة اضحى في طريقه الى الزوال امام الزحف الامريكي المتواصل على المنطقة واستغلال المناخ المفتوح امامها على جميع الاصعدة. وفرنسا لا تنظر بعين الارتياح الى التنامي المضطرد لعلاقات امريكا بالجزائر والدفع القوي الذي تشهده في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والامنية والعسكرية بوتيرة متسارعة، وهذا التقارب الملحوظ تعبر عنه الزيارات المتبادلة لكبار المسؤولين السياسيين والعسكريين اذ في اقل من سنة تشهد الجزائر توافد ابرز صناع القرار في البيت الابيض الامريكي، من رامسفيلد وزير الدفاع الامريكي الى ديك تشيني نائب الرئيس الامريكي والذي له دراية كبيرة بالجزائر اذ كان يرأس احدى الشركات البترولية العاملة في حقل التنقيب بالصحراء الجزائرية وكذا زيارة كوندوليزا رايس كاتبة الدولة الامريكية للخارجية وزيارة هذين الاخيرين مرتقبة في نهاية الشهر الحالي حسب مصادر اعلامية.

وان صحت هذه المعلومات فهذا التوافد المتتالي على الجزائر دليل على الاهتمام الذي توليه واشنطن للجزائر.

والمنطقة على العموم ضمن خطتها الاستراتيجية المتبعة في فتح منافذ اخرى، وسياسة الطوق في مجال مكافحة الارهاب حسب زعمها. والاستعانة بالجزائر في هذا الخصوص وقد عبر عن هذا التعاون جون نيغروبونتي مسؤول الاستخبارات المركزية الامريكية مؤخرا.

ومن الجانب الجزائري زيارة محمد بجاوي وزير الخارجية الى واشنطن فقد قال في 13 نيسان (ابريل) ان فرنسا لا تتمتع بنفس ثقل الولايات المتحدة للجزائر اذا هذا التقارب اضحى ينظر اليه بميزان القوى ورسالة مشفرة لباريس بان دورها يتقلص في الجزائر ولم يعد ينظر اليها بمنظار من يقوم بالزيارة الاولى شيراك ام بوتفليقة في سنة 2000.

وزيارة احمد قايد صالح قائد اركان الجيش الجزائري الى واشنطن والكل يعلم الدور الذي تلعبه المؤسسة العسكرية في الحياة السياسية وبلورة المواقف في اطار التوازنات داخل النظام في الجزائر.

هذا الهجوم ان صح التعبير يزعج باريس وشعورها بان ذلك يتم على حسابها واعطاء الظهر لها لذا تحاول الجزائر بوتفليقة استثمار تصارع القوى على المنطقة والسباق المحموم عليها والاستفادة بذلك في القضايا التي تهمها وبخاصة قضية الصحراء الغربية، ولا نستبعد موقفا امريكيا ميالا الى كفة الجزائر وقد ابدت واشنطن اهتماما متزايدا بالموضوع مؤخرا وركوب موجة دفع الاطراف المعنية لايجاد حل سريع لمعضلة شمال افريقيا خاصة اذا علمنا ان جيمس بيكر من الساسة الامريكيين ذوي العيار الثقيل وهو الذي صاغ مقترح تسوية لمشكلة ثلاثة عقود.

ومن الطرف الاخر افتكاك اعتذار من فرنسا عن ماضيها في الجزائر، وان كنا نستبعد الحصول على هذا القرار الهام في الظرف الراهن على الاقل نتيجة العديد من العوامل الداخلية لفرنسا اذ هي في موضع لا يسمح لها الاقدام على خطوة مثل هذا «الاعتذار» جراء القلاقل التي مرت بها في الاونة الاخيرة من انتفاضة الضواحي الى اضرابات عقد العمل الى الفضائح المالية للطبقة السياسية والتي تهز اركان السلطة في الاليزي في هذه الايام، هذا الوضع المجبول بهذه المعطيات والموانع يدفع الى الاعتقاد بانه من المستحيل اتخاذ مثل هذا القرار ذي الاهمية الكبرى وكذا وجود الطبقة السياسية على ابواب الاستحقاقات الانتخابية الرئيسية والتشريعية في ربيع السنة القادمة 2007.

يبدو ان حلم شيراك الذي تتوالى عليه النكبات في نهاية عهدته الرئيسية والتي تهدد مساره التاريخي في التوقيع على معاهدة صداقة مع الجزائر والتي اقترحها في نهاية زياته للجزائر في ايار (مايو) 2003 اصبح هذا الحلم في تعداد الماضي في الوقت الحالي اذ لا يبدو ان الامور توحي بالسير في هذا الاتجاه رغم الهرولة التي ابدتها باريس لهذه المعاهدة التي قيل بشأنها انها بين شعبين وليس بين رئيسين. اذا اصبح شرط توقيع هذه المعاهدة مرهون بالحصول على الاعتذار اولا، ومسير معلق لمعاهدة لم يكتب لها النجاح.

* صحافي من الجزائر مقيم في فيينا

اعتقالات بالجملة والمفرق:

النظام السوري يباشر حربا على المجتمع!

غسان المفلح*

■ من أين نبدأ يا شام؟ من أين يأتينا الكلام ويشد أزرنا بضع كلمات نكتبها نحتج فيها على ما يدور في الشام؟ من نناشد كي يقول كلمة فيما يجري الان في سورية من حرب على المجتمع السوري بكل أطيافه وتلاوينه السياسية والمدنية. توقفت مليا عند ما يجري وودت أن أكتب بشكل محايد ـ لأجرب مرة واحدة أن أنزع عن نفسي صفة ناشط في صفوف المعارضة السورية!!

تصلني الايميلات والرسائل تباعا وفي كل رسالة خبر اعتقال صديق ربما هذا لايجعلني حياديا لأن المعتقلين ليسوا فقط معارضين بل هم أصدقائي وقضينا عمرا سواء في السجون أو في النشاط السياسي والمدني العام في سورية وبيننا لحظات من الألم المديد والفرح القليل.. قليل لأننا كنا بشكل شبه يومي اما ملاحقين أو معتقلين أو في حالة استدعاء لأحد الفروع الأمنية في دمشق أو في أية محافظة من المحافظات السورية الأربع عشرة. واتخيل الان الفضاء الذي يعيش فيه الأصدقاء ـ المعارضون ـ بعدما تلقيت اتصالا هاتفيا من صديق فار من وجه الأمن كان قد اعتقل سابقا لمدة عشر سنوات وهو الان ناشط مدني وليس ناشطا في الحقل السياسي لا استطيع ذكر اسمه.. وآخر رسالة وصلتني قبل أن أذهب للنوم البارحة تنبئني باعتقال الرفيق والصديق: خليل حسين أبو توليب.. الذي قضى اثني عشر عاما في السجون السورية منذ عام 1984 وحتى عام 1996 بتهمة الانتماء لحزب العمل الشيوعي في سورية. والان التهمة تتعلق بنشاطه في تيار المستقبل الكردي ـ لكونه كرديا ـ ولكل سجين علامة مميزة داخل السجن أنا مثلا كانت علامتي المميزة أنني أحب مشروبا اسمه ـ المتة ـ لدرجة أن رفيقا لي سجين أيضا بنفس التهمة وهو رسام كاريكاتور ممتاز من وجهة نظري ولكنه على ما يبدو ترك المهنة بعد خروجه من السجن لأنها لا تطعمه خبزا ـ اسمه دروست ـ رسم كاريكاتورا لي وأنا أضع ابريقا من المتة في أسفل ظهري ـ بالعربي على مؤخرتي ـ وكنا قد أقمنا له في السجن أكثر من معرض لرسوماته على الجميع والتي تأخذ تعبيراتها من ما يميز من وجهة نظره كل سجين.

أما الصديق أبو توليب فكان ما يميزه لا يرسم كاريكاتوريا ـ لأنه يتعلق بعلاقته باللغة العربية والتي كانت بالنسبة له مشكلة. لدينا مثل شعبي في سورية يقول:

«بمشي الحيط الحيط وأقول يا رب الستر» وهو تعبير عن الرجل المسالم الذي لا يحب المشاكل أبدا، أما خليل أبو توليب فكان دوما يردد هذا المثل فيقول بعربيته الكردية أو بكرديته العربية:

(بمشي الستر الستر وبقول يا رب الحيط) والحيط هو الجدار وفيكم أن تتخيلوا أن هذا الخطأ وغيره لم يكن مقصودا عند أبو توليب بل عفويا تماما لأنه هو كرجل أكثر من عفوي.. وها هو رغم أنه يمشي الستر الستر ـ طالبا السترة من الله عز وجل ـ يأتيه الاعتقال الى بيته. لأن هذا التنظيم الذي يعمل به أبو توليب تنظيم سلمي ديمقراطي ـ تيار المستقبل الكردي ـ فكيف لي أن أكون حياديا أو أكتب عما يدور بصفة مراقب موضوعي!!؟ أشك بأنني قادر على ذلك..

النظام السوري الان اما أن يكون في مأزق ينتظره ولا يريد مسبقا أي صوت في سورية خارج صوته؟ أو أنه حسم أموره نهائيا في خروجه عن أبسط القواعد التي تميز نظاما سياسيا وهي درجة من الحسابات السياسية العقلانية؟ ولسان حاله يقول بالفم العريض: هذه مزرعتي وأنا أملك كل من عليها من طير وبشر وأنام ومتاع.. ومن يريد تغيير هذا الأمر ليأتي كي ننزع قلبه كما صرح الشيخ حسن نصرالله: من يريد نزع سلاح المقاومة سننزع قلبه.

انها حالة اعلان حرب لأن المجتمع السوري هو الطرف المسالم وهو الطرف الذي يتلقى الضرب بفم صامت نسبيا وهذه النسبية الضئيلة لا تريدها السلطة مطلقا. بعد فترة وجيزة ولا قانونية ـ غير مقوننة من العلنية السياسية والمدنية نجد أن السلطة وهذا كنا قد نوهنا عنه حول خطورة الهامش النسبي من الحرية غير المقوننة يمكن أن تسحبه السلطة لحظة تشاء عندما تدرك أنه يمكن أن يخلق فضاء مدنيا حقيقيا في سورية. وهذا ما يحدث الان.. في دمشق وهنا نسأل جماعة الأحزاب العربية التي عقدت مؤتمرها في دمشق وهتفت من هناك:

ما رأيهم بما يدور في سورية الآن من حملة ظالمة على كافة النشطاء السياسيين والمدنيين؟ من يحمي هؤلاء المعتقلين بلا سبب وبلا ذنب فقط لأنهم يريدون لسورية أن تكون دولة طبيعية فقط. هل هذه جريمة؟ أم أن سورية يجب ان تبقى دولة استثنائية في كل شيء؟

وجاءني خبر وأنا أكتب هذا المقال: اعتقال الصديق ـ الهمشري ـ خالد خليفة أشهر كاتب سيناريو تلفزيوني سوري وروائي مهم في سورية ولم أتأكد من الخبر جيدا بعد ولكنه على الأرجح صحيح.. وكل المشاهدين العرب يتذكرون مسلسلاته التلفزيونية ـ سيرة آل الجلالي ـ المسلس